

القرآن الكريم وبناء الشخصية الإنسانية

م.م. منى مطر جبر¹

¹ وزارة التربية – مديرية محافظة بغداد – مديرية تربية الرصافة / 2 – العراق

الملخص. يتناول هذا البحث موضوع بناء الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم، انطلاقاً من كون القرآن كتاب هداية شامل، لم يقتصر على التشريع والعقيدة، بل أولى عناية خاصة بالإنسان من حيث تكوينه العقلي والروحي والأخلاقي والاجتماعي. فالإنسان في المنظور القرآني خليفة الله في الأرض، مكرم بالعقل والفطرة، مسؤول عن أفعاله، وموجه إلى التزكية والسمو الإنساني. تتمثل مشكلة البحث في وجود نقص في الدراسات التي تناولت الشخصية الإنسانية كمنظومة متكاملة، إذ ركزت معظم الدراسات السابقة على عناصر منفردة مثل العقل أو الكرامة أو الأخلاق، دون إبراز كيفية ترابطها في تكوين شخصية متوازنة. ويهدف البحث إلى تحديد الأسس القرآنية لبناء الشخصية الإنسانية، وتحليل الأبعاد الفكرية والأخلاقية والاجتماعية الواردة في النصوص القرآنية، وبيان أثرها في تكوين الإنسان المتوازن، إضافة إلى تقديم رؤية عملية لتوظيف هذه القيم في التربية والتعليم والعمل المجتمعي. اعتمد البحث على مناهج متعددة، منها: الاستنباطي في تتبع الآيات القرآنية، والتحليلي في بيان دلالاتها، والمقارن بالاستفادة من كتب التفسير المهمة (الميزان، مجمع البيان، التبيان، جامع البيان)، إضافة إلى النصوص الحديثية (الكافي، نهج البلاغة). كما استُخدم المنهج التطبيقي في ربط النتائج بالواقع المعاصر والتحديات الأخلاقية والاجتماعية. وتكمن أهمية البحث في كونه يقدم رؤية شاملة لبناء الشخصية الإنسانية وفق القرآن الكريم، مما يساهم في إثراء الدراسات القرآنية، وبتحقيق إمكانات عملية لتفعيل القيم القرآنية في التربية والإصلاح المجتمعي، ولا سيما في مواجهة الانحرافات الفكرية والأزمات الأخلاقية التي يمر بها الإنسان المعاصر.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، بناء الشخصية الإنسانية، التربية القرآنية، القيم الأخلاقية، التكافل الاجتماعي.



Abstract. This study aims to identify the Quranic foundations of human personality development and examine their role in achieving integration among the intellectual, spiritual, moral, and social dimensions of human personality. It draws on the Quranic perspective of human beings as dignified individuals who bear responsibility for their actions and choices. The research problem arises from the tendency of previous studies to examine individual components of human personality separately, without adequately addressing their interconnectedness within the Quranic framework. The study employs a deductive approach to derive principles from relevant Quranic verses, an analytical approach to interpret their meanings, a comparative approach drawing on Quranic commentaries and Hadith literature, and an applied approach to relate Quranic principles to contemporary educational and social issues. It examines the fundamental foundations of personality development, particularly innate human disposition (fitrah), reason, freedom, and free will, alongside religious and moral values and the role of spiritual purification and worship in shaping human behavior. The study also explores the practical application of these principles within families, educational institutions, and society. The findings indicate that the Holy Quran presents a comprehensive framework for human personality development based on balancing faith and reason, rights and responsibilities, and individual righteousness and social responsibility. The study further identifies the family as the primary environment for instilling values, educational institutions as essential settings for developing awareness and moral conduct, and the principles of justice, social solidarity, and cooperation as fundamental to social cohesion. Accordingly, the study recommends strengthening Quranic education within families, integrating Quranic values into educational curricula, preparing teachers to serve as ethical role models, and promoting community initiatives grounded in justice and social solidarity. These measures can contribute to developing balanced individuals capable of addressing contemporary challenges.

Keywords: Holy Quran, Human Personality Development, Quranic Education, Moral Values, Social Solidarity.

1. الفصل الأول: الاطار العام للبحث

1.1. المقدمة



الحمد لله الذي أنزل كتابه الكريم هدى ورحمة للعالمين، وجعل الإنسان محور الرسالة الإلهية، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين، الذين جسّدوا القيم القرآنية في حياتهم قولاً وفعلًا ويُعَدُّ القرآن الكريم مشروعاً متكاملًا لبناء الإنسان، إذ لا يقتصر على التشريع أو العقيدة فحسب، بل يتناول الشخصية الإنسانية في أبعادها كافة: العقلية والروحية والأخلاقية والاجتماعية. فالإنسان في القرآن ليس مجرد كائن مادي أو اجتماعي، بل هو خليفة الله في الأرض، مكرّم بالعقل والفطرة، محاط بالمسؤولية الأخلاقية والروحية. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]، وقد بيّن الطبرسي أن هذا التكريم يشمل ما وهب للإنسان من عقل وقدرة على إدراك الحقائق (مجمع البيان، ج 5، ص 210).

إنّ دراسة بناء الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم تكشف أن الكتاب العزيز وضع إطاراً متكاملًا من القيم والمبادئ التي تنمّي الإنسان، بدءًا من الفطرة والكرامة، مرورًا بالقيم الإيمانية والأخلاقية، وصولًا إلى التزكية العملية. وقد أشار الطباطبائي إلى أن القرآن يركّز على توازن الشخصية بين الجوانب المادية والروحية، بما يحقق كمال الإنسان الاستخلافي (الميزان، ج 2، ص 45). كما بيّن الطوسي في التبيان أن غاية هذا البناء هو تهذيب النفس وتحصيل الفضائل (التبيان، ج 3، ص 77).

وإلى جانب التفسير، وردت نصوص حديثية تؤكد دور القرآن في بناء الإنسان، إذ جاء عن الإمام علي (ع) قوله: "ألا وإنّ القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق، لا تقنى عجائبه ولا تنقضي غرائب" (نهج البلاغة، خطبة 198). كما ورد في الكافي: "عليكم بالقرآن، فإنه كلام الله، ونور، وشفاء لما في الصدور" (الكافي، ج 2، ص 599). وهذه النصوص توضح أن القرآن ليس كتاب هداية عامة فحسب، بل أداة متواصلة لتقويم الشخصية الإنسانية في مختلف الأزمنة.

من هنا تنبع أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى الكشف عن الأسس القرآنية لبناء الشخصية الإنسانية، وبيان أثرها في تكوين الفرد والمجتمع، وكيفية الاستفادة منها في معالجة التحديات المعاصرة من انحرافات فكرية وأزمات أخلاقية وضغوط اجتماعية.

1.2. مشكلة البحث:

رغم وجود العديد من الدراسات القرآنية، إلا أن أغلبها ركّز على جوانب متفرقة مثل العقل أو الكرامة أو الأخلاق بصورة منفصلة، ولم يُعالج موضوع الشخصية الإنسانية كمنظومة متكاملة تتفاعل فيها هذه الأبعاد جميعًا. ومن هنا برزت مشكلة البحث التي يمكن صياغتها في الأسئلة الآتية:

- ما الأسس التي وضعها القرآن لبناء الشخصية الإنسانية؟
- كيف يجمع القرآن بين العقل والفطرة والإيمان والأخلاق في هذا البناء؟

- ما التطبيقات العملية لهذه القيم في حياة الإنسان المعاصر؟
- كيف يمكن الاستفادة من هذه القيم في التربية والتعليم وتنمية المجتمع؟

1.3. أهداف البحث:

- تحديد الأسس القرآنية لبناء الشخصية الإنسانية من خلال دراسة النصوص ذات الصلة.
- تحليل الأبعاد الفكرية والأخلاقية والاجتماعية في تكوين الإنسان المتوازن.
- بيان أثر القرآن في تكوين الفرد والأسرة والمجتمع.
- تقديم رؤية عملية لتوظيف القيم القرآنية في التربية والتعليم والعمل المجتمعي.
- الإسهام في إثراء الدراسات السابقة بدراسة شاملة تربط الجانب النظري بالتطبيقي.

1.4. أهمية البحث:

- تتجلى أهمية هذا البحث في عدة نقاط:
- الأهمية العلمية: إذ يسعى إلى تقديم دراسة متكاملة للشخصية الإنسانية في القرآن الكريم.
- الأهمية التربوية: حيث يضع أسساً لبناء مناهج تربوية قائمة على القرآن.
- الأهمية الاجتماعية: عبر توظيف نتائج البحث في برامج التوعية والإصلاح.
- الأهمية المعاصرة: من خلال مواجهة الانحرافات الفكرية والأزمات الأخلاقية التي يعاني منها المجتمع.

1.5. منهجية البحث:

- اعتمد هذا البحث على مناهج متعددة، أهمها:
- المنهج الاستنباطي: باستقراء الآيات القرآنية المتعلقة ببناء الشخصية.
- المنهج التحليلي: لفهم الدلالات القرآنية وربطها بأبعاد الإنسان المختلفة.
- المنهج المقارن: من خلال الاستفادة من بعض التفسيرات المهمة مثل الميزان في تفسير القرآن، مجمع البيان، التبيان، إلى جانب جامع البيان للطبري.
- المنهج التطبيقي: ببيان كيفية الاستفادة من القرآن في معالجة القضايا التربوية والاجتماعية المعاصرة.

1.6. حدود البحث:

- الموضوع: دراسة بناء الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم.
- المصادر: الاعتماد على التفسيرات المعتبرة، إضافة إلى النصوص الحديثية مثل الكافي ونهج البلاغة.
- الزمن والمكان: البحث عام يصلح لكل زمان ومكان، مع ربط النتائج بالواقع المعاصر.



1.7. الدراسات السابقة:

تناولت بعض الدراسات موضوعات جزئية مثل العقل في القرآن، أو الكرامة الإنسانية، أو التربية القرآنية، لكنها بقيت متفرقة ولم تُبرز ترابط هذه العناصر في بناء الشخصية المتكاملة. هناك دراسة ركزت على الكرامة الإنسانية في القرآن، لكنها اقتصرَت على الجانب الفلسفي دون البعد التطبيقي.

ودراسة أخرى تناولت التربية القرآنية، لكنها انحصرت في تعليم الأطفال دون معالجة البنية الكاملة للشخصية.

ومن هنا يسعى هذا البحث إلى سد هذه الفجوة، بتقديم رؤية شاملة تجمع بين الجانب النظري (النص القرآني والتفسير) والجانب التطبيقي (التربية، المجتمع، القيم المعاصرة).

2. الفصل الثاني: الإطار النظري لبناء الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم

2.1. المبحث الأول: مفهوم الشخصية الإنسانية

2.1.1. أولاً: تعريف الشخصية لغة واصطلاحاً

تدل كلمة "الشخصية" في اللغة على الفرد بما يتميز به عن غيره من صفات وسمات، فهي مشتقة من "الشخص" أي الذات الماثلة أمام الأبصار. وفي الاصطلاح الحديث تشير الشخصية إلى مجموع الصفات والخصائص النفسية والفكرية والأخلاقية التي تحدد سلوك الإنسان وطريقة تعامله مع الآخرين. وعليه، فإن الشخصية ليست مجرد سمة عابرة، بل هي بناء متكامل يتألف من أبعاد متعددة: عقلية، نفسية، روحية، واجتماعية.

أما في السياق القرآني، فإن الشخصية الإنسانية ليست مجرد هوية اجتماعية، وإنما هي خليط متوازن من الفطرة والعقل والإيمان والقيم الأخلاقية، بحيث يُنظر إلى الإنسان ككائن مسؤول أمام الله عن اختياراته ومواقفه.

2.1.2. ثانياً: الإنسان في الرؤية القرآنية

يقدم القرآن الكريم تصوراً متميزاً عن الإنسان، يقوم على تكريمه واعتباره محوراً للرسالة الإلهية. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (سورة الإسراء، الآية 70)، وهذا التكريم يتجلى في منحه العقل والفطرة والقدرة على التمييز بين الحق والباطل. وقد أشار الطبرسي في مجمع البيان إلى أن تكريم الله للإنسان يشمل ما





منحه من قوى عقلية ومملكة النطق والقدرة على التصرف في الموجودات (الطبرسي، 1986، ج. (سورة الأحزاب، الآية 72)، ص. 210).

كما وصفه الله بالخلافة في قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (سورة البقرة، الآية 30)، أي أنه مؤتمن على إعمار الأرض وإقامة العدل. ويرى الطباطبائي أن مفهوم الخلافة يعكس البعد الاستخلافي للإنسان الذي يتطلب توازنًا بين متطلبات الجسد والروح، وبين الفردية والجماعية، لتحقيق الغاية الإلهية من وجوده (الطباطبائي، 1997، ج. (سورة الإسراء، الآية 70)، ص. 122) إضافة إلى ذلك، حمل الله الإنسان أمانة المسؤولية بقوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ (سورة الأحزاب، الآية 72). وقد فسر الطوسي الأمانة بأنها التكليف الشرعي والاختيار الحر الذي يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات (الطوسي، 1964، ج. 8، ص. 323) ومن هنا يظهر أن القرآن يقدم الإنسان باعتباره كائنًا مكرمًا، مسؤولًا، حر الإرادة، مهياً لبناء شخصية متوازنة تتسجم مع مقاصد الخلق.

2.1.3. ثالثاً: خصائص الشخصية الإنسانية في القرآن

من خلال النصوص القرآنية يمكن استنباط مجموعة من الخصائص الرئيسة التي تميز الشخصية الإنسانية:

- التكامل بين المادة والروح: فالإنسان مكوّن من جسد طيني وروح نفخها الله فيه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (سورة الحجر، الآية 29). وهذا يدل على أن الشخصية الإنسانية لا تكتمل إلا بالتوازن بين البعدين المادي والروحي.
- العقلانية والفكر: ميّز القرآن الإنسان بالعقل وقدرته على التفكير والتدبر، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النساء، الآية 82)، مما يجعل التفكير سمة أساسية في شخصيته.
- المسؤولية الأخلاقية: ربط القرآن بين الشخصية الإنسانية والتزكية، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (سورة الشمس، الآية 9-10)، مما يبين أن صلاح الشخصية مرتبط بتزكية النفس.
- البعد الاجتماعي: الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، وقد أكد القرآن على التكافل والعدل والإحسان في تنظيم علاقاته مع الآخرين.

وعليه، فإن مفهوم الشخصية الإنسانية في القرآن يتجاوز التعريفات النفسية والاجتماعية الحديثة، ليقدّم نموذجاً متكاملًا يجمع بين الفطرة والعقل والإيمان والقيم العملية.

2.2. المبحث الثاني: المرتكزات القرآنية للشخصية الإنسانية



إن الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم تقوم على مجموعة من المرتكزات الأساسية التي تمثل البنية التحتية لهذا البناء المتكامل، بحيث لا يمكن للشخصية أن تتوازن أو تنمو نموًا صحيحًا ما لم تستند إليها. ومن أبرز هذه المرتكزات: الفطرة، والعقل، والحرية والإرادة.

2.2.1. أولاً: الفطرة الإنسانية

الفطرة هي ذلك الاستعداد الطبيعي الكامن في الإنسان للمعرفة والإيمان بالقيم العليا. وقد أشار القرآن إلى هذا الأصل في قوله تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّذِينَ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (سورة الروم، الآية 30). وهذه الفطرة تمثل قاعدة أساسية في تكوين الشخصية، فهي الضمانة الداخلية التي تقود الإنسان نحو الخير ما لم تتعرض للانحراف أو التشويه.

وذكر الطباطبائي أن الفطرة هنا تعني "الاستعداد المركوز في نفس الإنسان لمعرفة الله والتوجه إليه بالعبادة" (الطباطبائي، 1997، ج. 16، ص. 109)، فهي مبدأ توحيدي وأخلاقي في آن واحد. بينما يذكر الطبرسي أن معنى الفطرة هو ما جُبل عليه الإنسان من الميل إلى الحق والخير (الطبرسي، 1986، ج. 3، ص. 241)، وعليه فإن الفطرة تشكل أساسًا لبناء شخصية متوازنة، لأنها تغرس في الإنسان نزعة أصيلة نحو الإيمان والفضيلة. ومن الجانب العملي، فإن التربية القرآنية لا تبدأ من الصفر، وإنما تنطلق من إحياء هذا الاستعداد الفطري. فالأنبياء لم يأتوا ليؤسسوا قيمًا غريبة عن الإنسان، بل ليذكروه بما هو مودع في أعماقه. قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (سورة الغاشية، الآية 21). وبذلك تصبح الفطرة حجر الأساس الذي يربط بين الجانب العقائدي والجانب الأخلاقي للشخصية.

2.2.2. ثانيًا: العقل والتفكير

العقل في القرآن ليس مجرد أداة معرفية، بل هو أداة هداية وتكليف، إذ لا يصح إيمان ولا عبادة بلا عقل. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (سورة آل عمران، الآية 190). فالخطاب القرآني موجّه إلى "أولي الأبواب"، أي أصحاب العقول المتدبرة، وهذا يدل على أن العقل ركيزة لا غنى عنها في بناء الشخصية وقد ركّز المفسرون على أن القرآن يربط بين العقل والإيمان، بحيث لا ينفصل التفكير عن العقيدة. فالطوسي يرى أن الاستدلال العقلي من أهم طرق الوصول إلى معرفة الله (الطوسي، 1964، ج. 16، ص. 109)، (الطباطبائي، 1997، ج. 16، ص. 109)، (الطباطبائي، 1997، ج. 7، ص. 53)، (الطبرسي، 1986، ج. 3، ص. 241). كما يظهر دور العقل في

ضبط السلوك وتوجيه الاختيارات الأخلاقية، فالإنسان الذي يُعطل عقله يفقد توازنه الشخصي ويقع في الانحراف، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا... أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (سورة الأعراف، الآية 179). وهذا يبين أن تعطيل العقل يهدم الشخصية من أساسها. وعليه، فإن العقل في المنظور القرآني ليس فقط وسيلة لمعرفة الحقائق النظرية، بل هو عنصر تكويني في الشخصية الإنسانية، يحدد قيمتها ويضبط مسارها.

2.2.3. ثالثاً: الحرية والإرادة

من أهم مرتكزات بناء الشخصية القرآنية أن يكون الإنسان كائنًا حرًا مسؤولًا عن اختياراته. فقد منح الله له القدرة على الاختيار بين الخير والشر، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (سورة الإنسان، الآية 3). وهذه الحرية ليست مطلقة وإنما مقيدة بمنظومة القيم الإلهية التي تحمي الإنسان من الانحراف.

وقد فسّر الطبرسي الآية بأنها دلالة على أن الله أوجد في الإنسان القدرة على الاختيار، وجعل له طريقتين بيّنين: طريق الهداية وطريق الضلال (الطبرسي، 1986، ج. (الطبرسي، 1986، ج. 10، ص. 306)، ص. 306). بينما أكد المجلسي أن الحرية والإرادة هما مناط التكليف والثواب والعقاب، إذ لولا حرية الإنسان لما استقام معنى الحساب يوم القيامة (المجلسي، 1983، ج. 5، ص. 12). وتبرز أهمية الحرية في تكوين شخصية مسؤولة، فالشخصية القرآنية لا تُبنى على القهر أو الإكراه، بل على القناعة الواعية. وقد نص القرآن على مبدأ حرية العقيدة بقوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (سورة البقرة، الآية 256)، وهو تأكيد على أن الإيمان لا يكون صادقا إلا إذا كان نابعا من اختيار حر. وعليه، فإن الإرادة الحرة هي الشرط الأساس الذي يمنح الشخصية الإنسانية أصالتها، فهي التي تجعل من الإنسان كائنًا مكلّفًا قادرًا على تحمل المسؤولية الفردية والاجتماعية.

2.2.4. خلاصة البحث

يتضح من هذا العرض أن المرتكزات الثلاثة: الفطرة، والعقل، والحرية تمثل الأعمدة الجوهرية التي يقوم عليها بناء الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم. فهي تشكل الإطار الداخلي الذي يوجه الإنسان نحو التكامل، وتمنحه القدرة على التمييز والاختيار، بما يحقق الغاية التي خُلق من أجلها.

2.3. البحث الثالث: القيم الأساسية في بناء الشخصية الإنسانية

تقوم الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم على مجموعة من القيم الأساسية التي تشكل جوهرها الداخلي ومظهرها الخارجي، وتجعل منها شخصية متوازنة وفاعلة في المجتمع. ومن أهم هذه القيم: الكرامة الإنسانية، والإيمان والتوحيد، والأخلاق العملية.

2.3.1. أولاً: الكرامة الإنسانية

يعد مبدأ الكرامة من المرتكزات الجوهرية التي يرسخها القرآن في بناء الإنسان. فقد صرّح القرآن بتكريم الإنسان تكريماً مطلقاً بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (سورة الإسراء، الآية 70)، وهذا التكريم يشمل جميع الناس دون تمييز في اللون أو الجنس أو العرق.

ويرى الطبرسي أن الكرامة المقصودة هنا تعني تفضيل الإنسان بالعقل والنطق والقدرة على التصرف في الوجودات (الطبرسي، 1986، ج. 5، ص. 210). كما يشير الطباطبائي إلى أن الكرامة تعكس شرف الإنسان من حيث هو إنسان، لا من حيث انتماءاته أو ممتلكاته (الطباطبائي، 1997، ج. 13، ص. 150).

وهذا البعد القرآني يمنح الشخصية الإنسانية أساساً راسخاً للشعور بالهوية والاعتزاز بالذات، ويجعلها قادرة على العطاء والإبداع بعيداً عن الشعور بالدونية أو الاستلاب. فالكرامة إذن ليست مجرد قيمة أخلاقية، بل هي أساس لتكوين شخصية متوازنة، تسعى لتحقيق العدالة الاجتماعية والعيش الكريم.

2.3.2. ثانياً: الإيمان والتوحيد

القيمة الثانية التي يقوم عليها بناء الشخصية القرآنية هي الإيمان بالله القائم على التوحيد الخالص. فقد أكد القرآن أن غاية خلق الإنسان تكمن في العبادة الواعية لله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات، الآية 56).

وقد فسّر الطوسي العبادة هنا بأنها المعرفة بالله، أي أن جوهر شخصية الإنسان يكمن في إدراكه لخالقه والانقياد له (الطوسي، 1964، ج. 9، ص. 289). كما يرى الطباطبائي أن العبادة ليست مجرد شعائر، بل هي منهج حياة ينعكس على السلوك الفردي والاجتماعي (الطباطبائي، 1997، ج. 18، ص. 56).

إن الإيمان في القرآن ليس عنصراً منفصلاً عن بقية مكونات الشخصية، بل هو العنصر المركزي الذي يوحد بينها ويمنحها معناها. فالإيمان ينمي في الإنسان روح الطمأنينة والاتزان، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (سورة الرعد، الآية 28).

وبذلك يصبح الإيمان إطاراً عامّاً للشخصية، فهو الذي يوجه الفطرة ويضبط العقل ويهذب الحرية، فيجعل من الإنسان شخصية رسالية تسعى لتحقيق غايات الوجود.

2.3.3. ثالثاً: الأخلاق العملية

الأخلاق في القرآن الكريم ليست مجرد تعليمات نظرية، وإنما هي سلوك عملي ينعكس على شخصية الفرد ومكانته في المجتمع. فقد أثنى القرآن على مكارم الأخلاق في أكثر من موضع، حتى وصف النبي محمد ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم، الآية 4). وتتنوع القيم الأخلاقية التي يؤكد عليها القرآن، ومن أبرزها: الصدق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة التوبة، الآية 119). والصبر: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية 153). والعدل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (سورة النحل، الآية 90). والإحسان: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية 195). ويذهب المجلسي إلى أن مكارم الأخلاق تمثل جوهر بعثة الأنبياء، مستشهداً بحديث النبي: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (المجلسي، 1983، ج. 16، ص. 210). كما يؤكد الطباطبائي أن الأخلاق القرآنية ليست مثالية منفصلة عن الواقع، بل هي منظومة عملية تهدف إلى تزكية النفس وتنظيم الحياة الاجتماعية (الطباطبائي، 1997، ج. 20، ص. 130). وعليه، فإن الأخلاق العملية تمثل البعد التطبيقي للشخصية القرآنية، فهي التي تترجم الفطرة والعقل والإيمان إلى سلوك يومي ملموس، وتمنح الإنسان مكانته في الدنيا والآخرة.

2.3.4. خلاصة المبحث

يتبين مما سبق أن الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم لا تقوم إلا على جملة من القيم الأساسية التي تشكل هويتها وفعاليتها. فالكرامة تمنحها الشعور بالتميز والاعتزاز، والإيمان يمدّها بالمعنى والالتزان، والأخلاق ترسم معالم السلوك العملي. وبهذا التوازن تتحقق الشخصية المتكاملة التي أرادها القرآن.

3. الفصل الثالث: الأسس القرآنية لبناء الشخصية الإنسانية

3.1. المبحث الأول: الجانب الروحي والتزكوي

يُعَدُّ الجانب الروحي الركيزة المركزية في تكوين الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم، إذ لا يمكن للإنسان أن يحقق توازنه وكماله إلا إذا وُجِّه نحو الارتباط بالله تعالى، واستثمر طاقاته الروحية في تركية النفس وتهذيبها. ويؤكد القرآن أن جوهر الإنسان ليس جسده المادي فحسب، بل هو كائن ذو بُعد روحي يجعله مؤهلاً لحمل الأمانة والخلافة في الأرض. قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ



سَاجِدِينَ ﴿ (سورة ص، الآية 72). فالآية تُبرز أن الروح هي التي تمنح الإنسان تميّزه عن سائر المخلوقات، ومن ثمّ فهي الأساس في بناء شخصيته.

3.1.1. أولاً: الإيمان كمحرك أساسي للشخصية

الإيمان هو القيمة العليا التي تصوغ الشخصية في القرآن الكريم، وهو ليس مجرد تصديق عقلي أو قناعة فكرية، بل هو منظومة متكاملة تشمل القلب والفكر والسلوك. وقد أكد القرآن على أثر الإيمان في هداية النفس وصياغة سلوكها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ (سورة يونس، الآية 9).

ويرى الطبرسي أن الهداية هنا ليست مقتصرة على المعرفة النظرية، بل هي توفيق عملي يجعل الإنسان أكثر وعياً بذاته وأكثر التزاماً بمنظومة القيم (الطبرسي، 1986، ج. 5، ص. 248). أما الطبطبائي فيشير إلى أن الإيمان هو القاعدة التي تُرتب عليها جميع صفات الشخصية القرآنية الأخرى، فهو الذي يولّد الطمأنينة ويمنح الدافع للعمل الصالح (الطباطبائي، 1997، ج. 10، ص. 52). ومن زاوية تربوية، يظهر أثر الإيمان في ضبط دوافع النفس وحمايتها من الانحرافات، إذ يتحول إلى ضمير حي يوجّه السلوك ويمنع الانزلاق وراء الأهواء. وبذلك يصبح الإيمان قوة داخلية توازن بين مطالب الجسد وتطلعات الروح.

3.1.2. ثانياً: العبادة وسيلة للتركية والتهديب

العبادة في القرآن ليست مجرد شعائر ظاهرية، بل هي وسيلة تربوية لتطهير النفس وتقويم الشخصية. وقد ربط القرآن بين الصلاة ومهمة التركية بوضوح: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (سورة العنكبوت، الآية 45). ويذكر الطبطبائي إن الصلاة تمثل دورة تربوية يومية، يبدأها الإنسان بذكر الله وينتهيها بالسلام، لتترك أثراً مستمراً في حياته اليومية (الطباطبائي، 1997، ج. 16، ص. 207). وذهب المجلسي إلى أن العبادات، بما فيها الصوم والحج والزكاة، ليست غاية في ذاتها وإنما وسائل لتركية النفس وصياغة شخصية منضبطة (المجلسي، 1983، ج. 81، ص. 195)، وفي هذا السياق يمكن القول إن العبادة تُحدث تحولاً داخلياً في الإنسان، فهي تدربه على الصبر والانضباط، وتجعله أكثر إحساساً بمسؤوليته أمام الله والناس كما أن التزامه بالشعائر يعكس التزاماً أعمق بالقيم الأخلاقية والاجتماعية.

3.1.3. ثالثاً: التوبة والاستغفار وإعادة بناء الشخصية



أحد مظاهر رحمة القرآن بالإنسان أنه لم يغلق الباب أمام المخطئين، بل فتح لهم طريق العودة من خلال التوبة والاستغفار. وقد صور القرآن التوبة باعتبارها عملية تربية تعيد للإنسان صفاءه الداخلي: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (سورة الفرقان، الآية 70) ويُعَلِّق الطبرسي بأن التوبة ليست مجرد محو للذنوب، بل هي انقلاب في مسيرة الإنسان، حيث تتحول الطاقة السلبية التي خلفها الذنب إلى طاقة إيجابية تدفعه نحو الصلاح (الطبرسي، 1986، ج. 7، ص. 327). وقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام): "الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معانٍ: أولها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً (الشريف الرضي، 1967).

وهذا النص يكشف أن الاستغفار ليس كلمة تُقال باللسان، وإنما هو برنامج متكامل لإعادة البناء النفسي والسلوكي للشخصية فهو يطهر الوجدان من الشعور بالذنوب، ويمنح الإنسان دافعاً قوياً للانطلاق من جديد. رابعاً: الصلة بالله والطمأنينة النفسية

من أبرز ثمار الجانب الروحي في القرآن الكريم تحقيق الاستقرار النفسي. فالإنسان معرض للقلق والاضطراب بسبب تحديات الحياة، لكن القرآن يقدم الذكر والارتباط بالله كوسيلة للطمأنينة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (سورة الرعد، الآية 28). وقد فسر الطبرسي الذكر في الآية بأنه يشمل الصلاة وتلاوة القرآن والدعاء، وهي أعمال تُحدث أثراً مباشراً في صفاء النفس (الطبرسي، 1986، ج. 6، ص. 442). بينما يرى الطباطبائي أن الطمأنينة هنا ليست مجرد سكون لحظي، بل هي استقرار وجودي ينعكس على مواقف الإنسان وسلوكه في الحياة (الطباطبائي، 1997، ج. 11، ص. 357). إن الإنسان الذي يعيش حالة الطمأنينة بالله يكون أكثر قدرة على مواجهة المصاعب، وأكثر ثباتاً أمام الأزمات الفكرية والأخلاقية. وبذلك تصبح الصلة بالله الضمانة الكبرى لشخصية متوازنة قوية.

3.1.4. خلاصة البحث

من خلال هذا العرض يتضح أن القرآن الكريم رسم مساراً متكاملًا لبناء الجانب الروحي في الشخصية الإنسانية. يبدأ هذا المسار بالإيمان كقوة دافعة، ثم يتجلى في العبادات باعتبارها وسائل عملية للتهديب، ويستمر بالتوبة والاستغفار لإعادة البناء بعد الانحراف، وصولاً إلى الطمأنينة التي تجعل الإنسان أكثر توازناً وصلابة. وبهذا يقدم القرآن تصوراً شاملاً للشخصية الروحية التي تشكل الأساس في تكوين الإنسان القرآني.

3.2. البحث الثاني: الجانب الأخلاقي والاجتماعي لبناء الشخصية

يُعَدُّ الجانب الأخلاقي والاجتماعي من أبرز الأبعاد التي ركّز عليها القرآن الكريم في بناء الشخصية الإنسانية. فالإنسان في القرآن ليس كائنًا معزولاً عن محيطه، بل هو جزء من شبكة من العلاقات تبدأ

بنفسه، ثم أسرته، فمجتمعه، ثم الإنسانية جمعاء. ومن هنا فإن القيم الأخلاقية والاجتماعية تمثل الضمانة الكبرى لحياة متوازنة، وشخصية متكاملة تؤدي دورها في عمارة الأرض على الوجه الصحيح.

3.2.1. أولاً: الأخلاق أساس بناء الشخصية

الأخلاق في التصور القرآني ليست أموراً ثانوية أو مكملية، بل هي جوهر الشخصية الإيمانية وأساس صدق التدين. فالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وُصف بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القرآن الكريم)، ما يكشف أن عظمة الرسالة لم تتفصل عن عظمة الخلق. وقد ركّز القرآن على جملة من القيم الجوهرية التي تصوغ شخصية الإنسان، مثل الصدق، والصبر، والعدل، والأمانة، والرحمة. فالصدق يمثل معيار الثقة الاجتماعية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (القرآن الكريم). أما الصبر، فيمنح الإنسان القدرة على الثبات أمام التحديات: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (القرآن الكريم). والعدل عدو قيمة مطلقة لا يجوز التنازل عنها حتى في حالة العداة: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (القرآن الكريم). هذه القيم الأخلاقية تمثل الأساس الذي تُبنى عليه شخصية متوازنة من الداخل، وقادرة على التعامل مع الواقع بتوازن وإنصاف.

3.2.2. ثانياً: العلاقات الأسرية وأثرها في الشخصية

الأسرة في الرؤية القرآنية هي المحضن الأول لتشكيل الشخصية الإنسانية، إذ يتلقى الفرد في إطارها أولى دروس الحياة من مودة ورحمة وانضباط. وقد صوّر القرآن العلاقة الزوجية على أنها آية من آيات الله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (القرآن الكريم). فالسكينة والمودة ليست فقط مشاعر، بل هي أساس في تكوين الاستقرار النفسي الذي ينعكس بدوره على توازن الشخصية. كما أولى القرآن أهمية كبرى لبرّ الوالدين: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (القرآن الكريم)، باعتباره حجر الزاوية في التربية على الاحترام والوفاء. ولعل وصايا لقمان لابنه تكشف بوضوح دور الأسرة في غرس القيم التربوية: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ (القرآن الكريم). فالأسرة إذن ليست مجرد مؤسسة اجتماعية، بل هي مدرسة قيمية وأخلاقية تساهم مباشرة في بناء الشخصية الإنسانية.

3.2.3. ثالثاً: البعد الاجتماعي العام

يتعدى بناء الشخصية حدود الفرد والأسرة إلى نطاق المجتمع الأوسع، حيث يركّز القرآن على قيم العدل، والتكافل، والتعاون. فقد أمر الله تعالى بالعدل باعتباره أساس الحياة الاجتماعية السليمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (القرآن الكريم). كما ربط

القرآن بين الإيمان الحقيقي ورعاية الفئات الضعيفة: ﴿يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْكِيئًا وَبِئْسَ إِسْمًا﴾ (القرآن الكريم). وهذا يدل على أن العدالة الاجتماعية والتكافل ليسا فضائل اختيارية، بل التزامات إيمانية. ومن هنا، تتضح رؤية القرآن في جعل الفرد مسؤولاً عن نفسه وعن محيطه في آن واحد، بحيث تُبنى شخصية المؤمن على التوازن بين التدين الفردي والانخراط الإيجابي في خدمة المجتمع.

3.2.4. رابعاً: التكامل بين الأخلاق الفردية والاجتماعية

الميزة البارزة في المنظومة القرآنية هي أنها لا تفصل بين الأخلاق الفردية والالتزامات الاجتماعية، بل تقدمها كجسد واحد متكامل. فالأخلاق الفردية مثل الصدق، والعفة، والصبر، لا تكتمل ثمرتها إلا عندما تُترجم إلى سلوك اجتماعي كالتكافل، وصلة الرحم، والتعاون على البر والتقوى. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (القرآن الكريم). وهذا الترابط يؤسس لشخصية إنسانية متكاملة، لا يقتصر بناؤها على البعد الفردي، ولا ينحصر في السلوك الاجتماعي الظاهري، بل يجمع بين نقاء الباطن وسلامة الظاهر. ومن هنا يتضح أن بناء الشخصية في القرآن هو مشروع شامل يمزج بين الإيمان، والأخلاق، والعلاقات الاجتماعية، في منظومة واحدة متماسكة.

3.2.5. خلاصة المبحث:

يتضح من خلال الدراسة أن الجانب الأخلاقي والاجتماعي في القرآن الكريم يشكل ركناً أساسياً في بناء الشخصية الإنسانية؛ إذ إن الأخلاق تمثل الجوهر الحقيقي للإيمان، وتنعكس آثارها على سلوك الفرد وعلاقاته بمحيطه. فالأسرة تُعد المدرسة الأولى لغرس القيم كالرحمة والاحترام والبر، بينما يوسع المجتمع هذه الدائرة عبر مبادئ العدل، والتكافل، والتعاون. كما أظهر القرآن التكامل بين الأخلاق الفردية والالتزامات الاجتماعية، فلا يكتمل صلاح الفرد ما لم يقترن بأداء دوره تجاه الآخرين. ومن هنا يمكن القول إن الشخصية القرآنية تُبنى على منظومة قيمية متوازنة تُحقق للفرد الاستقامة، وللمجتمع الاستقرار والانسجام.

3.3. المبحث الثالث: الجانب التربوي والعملية

يُعد الجانب التربوي والعملية من أبرز الأسس التي ركّز عليها القرآن الكريم في بناء الشخصية الإنسانية، إذ لم يقتصر الخطاب القرآني على العقائد أو الأخلاق، بل قدّم منهجاً عملياً متكاملًا يربط بين الإيمان والسلوك، وبين العبادة والعمل، ليكون شخصية متوازنة قادرة على أداء دورها في الحياة.

3.3.1. أولاً: التزكية الروحية كمدخل للتربية العملية



القرآن الكريم جعل التزكية أساس التربية، فهي المنطلق الذي يصحح الباطن ويهذب الغرائز. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (سورة الشمس، الآية 9-10). والتزكية ليست مجرد طقوس، بل عملية تربوية متكاملة تشمل تنمية الضمير، وتعويد النفس على المراقبة الذاتية. وقد أشار المفسرون إلى أن نجاح الإنسان في الحياة مرهون بقدرة النفس على التحرر من أهوائها (المجلسي، 1983، ج. 67، ص. غير محددة). ومن هنا فإن التربية العملية تبدأ من الداخل، ثم تنعكس على السلوك الخارجي.

3.3.2. ثانياً: تنمية العقل والتفكير

لم يهمل القرآن الجانب العقلي في التربية، بل دعا إلى التدبر والتفكير باعتبارهما وسيلة عملية لبناء الوعي: ﴿كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة ص، الآية 29). وهذا يوضح أن التربية القرآنية لا تقتصر على الجانب الروحي، بل تشمل تنمية القدرة النقدية والعقلية للفرد. ويشير الطبرسي في مجمع البيان إلى أن التدبر هو إدراك ما وراء الألفاظ من المعاني، ليكون المؤمن فاعلاً في فهم الوحي لا مجرد متلقٍ سلبي (الطبرسي، 1986، ج. 7، ص. غير محددة). وهكذا، يصبح العقل شريكاً في التربية العملية التي تهدف إلى تكوين إنسان وإح قادر على التمييز بين الحق والباطل.

3.3.3. ثالثاً: ربط العبادة بالسلوك العملي

من خصائص المنهج القرآني أنه لا يفصل بين العبادة والعمل، بل يجعل الأولى وسيلة لتقويم الثانية. فالصلاة مثلاً، ليست غاية بحد ذاتها، بل أداة تربوية تنهى عن الانحراف: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (سورة العنكبوت، الآية 45). والزكاة ليست مجرد إخراج مال، بل تطهير للنفس وتعويد على العطاء: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (سورة التوبة، الآية 103). وبهذا يتضح أن التربية العملية في القرآن تهدف إلى جعل العبادة وسيلة لتزكية الفرد وتوجيه سلوكه في حياته اليومية، بحيث يتجسد الإيمان في العمل والإنتاج.

3.3.4. رابعاً: التربية الاجتماعية والتكافل العملي

الجانب التربوي في القرآن يتجاوز الفرد ليشمل المجتمع بأسره. فالإنسان مطالب بالتعاون والتكافل لتحقيق العدالة الاجتماعية: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (سورة المائدة، الآية 2). كما جعل القرآن التكافل الاقتصادي جزءاً من التربية، ليغرس في الفرد شعور المسؤولية تجاه الآخرين. وبين الطبائفي في الميزان أن التكافل ليس مجرد إحسان، بل قاعدة اجتماعية تضمن تماسك



المجتمع واستقراره (الطباطبائي، 1997، ج. 5). ومن هنا، تُصبح التربية القرآنية مشروعاً علمياً متكاملًا يُربي الفرد والمجتمع معاً، ليشكلاً معاً شخصية إنسانية قادرة على القيام بوظيفة الاستخلاف.

3.3.5. خلاصة المبحث:

خلص هذا المبحث إلى أن القرآن الكريم لم يقف عند حدود التنظير في بناء الشخصية الإنسانية، بل قدّم منهجاً تربوياً علمياً متكاملًا يستوعب جميع أبعاد الإنسان: الروحية، والعقلية، والسلوكية، والاجتماعية. فالأساس الأول الذي أكد عليه هو التزكية الروحية؛ إذ لا يمكن أن يتحقق أي بناء للشخصية دون تطهير الباطن وتهذيب النفس من نوازع الشر والأهواء. وقد ربط القرآن بين فلاح الإنسان وبين تزكية ذاته، ما يجعل الجانب الروحي بمثابة البنية التحتية لكل عملية تربوية لاحقة ثم برز بعد ذلك البعد العقلي والفكري الذي حثّ القرآن على تعجيله من خلال التدبر والتفكير. فالإنسان ليس مكلفاً بالتقليد الأعمى، بل مدعو إلى ممارسة العقل النقدي في فهم آيات الله في الكون والوحي معاً، بما يعمّق وعيه، ويحصّنه من الانحرافات الفكرية. وهذا يعني أن التربية القرآنية تدمج بين الإيمان الواعي والعقل الناقد، لتنشئ شخصية متوازنة قادرة على التمييز بين الحق والباطل، والخير والشر كما أبرز المبحث أن القرآن جعل العبادات أداة عملية للتربية، فالصلاة وسيلة للانضباط الخلقي، والزكاة نظام لإحياء روح البذل والتكافل، والصوم مدرسة للصبر وضبط الشهوات. وهذه العبادات، وإن كانت شعائر دينية، إلا أن مقاصدها التربوية أعمق من المظهر الطقوسي، فهي تترجم القيم إلى سلوك يومي عملي، وتربط الإنسان بخالقه من جهة، وبمجتمعه من جهة أخرى وأخيراً، يتسع الجانب التربوي والعملي في القرآن إلى البعد الاجتماعي، إذ يركّز على قيم التعاون والعدل والتكافل باعتبارها ممارسات عملية تُبنى عليها شخصية الإنسان في علاقته بالآخرين. فالقرآن لا يكتفي بإصلاح الفرد داخلياً، بل يوسّع نطاق التربية ليشمل المجتمع كله، حتى تكون الشخصية الإنسانية فاعلة في محيطها، ومؤثرة في مسار أمتها. وبذلك، يتضح أن الجانب التربوي والعملي في القرآن ليس مجرد توجيهات أخلاقية، بل هو مشروع حضاري يهدف إلى تكوين إنسان متكامل روحياً وعقلياً وسلوكياً واجتماعياً، قادر على النهوض بمسؤولية الاستخلاف في الأرض وتحقيق العدل والصلاح في الواقع.

4. الفصل الرابع: التطبيقات العملية لبناء الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم

4.1. المبحث الأول: التطبيق الأسري ودوره في بناء الشخصية الإنسانية

تُعَدُّ الأسرة في المنظور القرآني اللبنة الأولى في تكوين شخصية الإنسان، فهي الحاضنة الطبيعية التي ينشأ فيها الفرد، وفيها تتكوّن معالم وعيه العقدي، وأخلاقه، وعلاقاته الاجتماعية. ولأنها الإطار الأقرب

للفطرة الإنسانية، فقد أولى القرآن الكريم للأسرة عنايةً فائقة، وجعلها الأساس الذي يُبنى عليه صلاح المجتمع أو فساده. فالأسرة ليست مجرد رابطة اجتماعية، بل هي مدرسة عملية يتلقى فيها الإنسان أول دروسه في العقيدة والسلوك، ومنها ينتقل إلى بناء شخصيته على أسس متينة.

4.1.1. أولاً: المودة والرحمة أساس العلاقة الزوجية

أقام القرآن الكريم العلاقة الزوجية على قاعدة المودة والرحمة، لا على مجرد الغريزة أو المصلحة. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (سورة الروم، الآية 21). فالآية تشير إلى أن الزواج ليس عقدًا شكليًا، بل هو آية من آيات الله الدالة على حكمته في جعل العلاقة بين الزوجين علاقة سكن وطمأنينة.

يرى الطبرسي في مجمع البيان أن السكن المقصود هنا هو السكن الروحي والنفسي، حيث يجد كل من الزوجين في الآخر ما يكمل شخصيته ويخفف من أعباء الحياة (الطبرسي، 1986، ج. 7، ص. 142). بينما يوضح الطباطبائي في الميزان أن المودة والرحمة هما جوهر هذه العلاقة، فالمودة تعكس الحب المتبادل، والرحمة تمثل العطاء والتضحية (الطباطبائي، 1997، ج. 16، ص. 175). ومن خلال هذين العنصرين تتشكل بيئة أسرية مستقرة، تكون قادرة على إنجاب أفراد ذوي شخصيات متوازنة. إن هذه القاعدة القرآنية تجعل الأسرة مصدر الأمان العاطفي والتكامل الإنساني، حيث تنشأ فيها شخصية الفرد على قيم المحبة والعطاء، وهو ما ينعكس لاحقاً في سلوكه الاجتماعي وقدرته على بناء علاقات قائمة على الثقة والرحمة.

4.1.2. ثانياً: التربية الأسرية وغرس القيم

إن التربية الأسرية تمثل الدعامية الأساسية في بناء شخصية الإنسان، إذ تُعدّ الأسرة المدرسة الأولى التي يتلقى فيها الأبناء المبادئ الأولى للعقيدة، وقيم الأخلاق، وأسس التعامل الاجتماعي. وقد أولى القرآن الكريم هذا الجانب أهمية كبرى، لأن البناء النفسي والأخلاقي للطفل يبدأ في مرحلة مبكرة، ويترسخ في وعيه من خلال التوجيه المتواصل، والقُدوة العملية التي يقدمها الوالدان. ومن ثم فإن إهمال التربية الأسرية يعني ترك فراغ خطير في شخصية الإنسان قد يملؤه الانحراف أو الضياع. وقد جسّد القرآن الكريم هذا الدور من خلال وصايا لقمان الحكيم لابنه، إذ قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ (سورة لقمان، الآية 17). إن هذه الوصايا تكشف عن منهج تربوي متكامل؛ فهي تبدأ بالصلة بالله عبر الصلاة، ثم تنتقل إلى الصلة بالمجتمع من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتختتم بالصبر الذي يعدّ أساس الثبات النفسي في مواجهة التحديات. وهكذا فإن التربية القرآنية لا تنظر إلى

الإنسان كفرد منعزل، بل تربيته على التوازن بين حقوق الله وحقوق المجتمع ويشير الطبرسي في كتابه مجمع البيان إلى أن وصايا لقمان لابنه تؤكد أن التربية الأسرية ليست مجرد تلقين، بل هي مشروع لبناء الشخصية على أسس عقديّة وأخلاقية واجتماعية (الطبرسي، 1986، ج. 7، ص. 308). أما الطباطبائي في الميزان فقد شدّد على أن هذه الوصايا تكشف عن تربية قائمة على الجمع بين العلم والعمل؛ فالأب لا يكتفي بالأمر والنهي، بل يعكس في سلوكه اليومي صورة القدوة الحسنة التي يتعلم منها الابن (الطباطبائي، 1997، ج. 16، ص. 352). ومن هنا فإن غرس القيم لا يتم بالكلمات وحدها، وإنما يتحقق عبر الممارسة اليومية داخل الأسرة.

كما يؤكد المجلسي في بحار الأنوار أن الأسرة هي البيئة الأولى لتشكيل الضمير الديني والوجداني عند الطفل، وأن ما يغرسه الوالدان في نفوس الأبناء في سنوات الطفولة المبكرة يظل ملازماً لهم مدى الحياة (المجلسي، 1983، ج. 72، ص. 25). وفي هذا الإطار تبرز قيمة التربية القرآنية التي لا تكتفي بترسيخ العقيدة، بل تجعل من الأخلاق والسلوك العملي جزءاً من تكوين الشخصية الإنسانية ومن جانب آخر، يبين الكليني في الكافي أن للأبناء حقاً على الوالدين في التربية والرعاية، تماماً كما للوالدين حق البر والطاعة. وهذا التوازن في الحقوق والواجبات يجعل العلاقة الأسرية قائمة على العدل، ويحول دون ظهور شخصية أنانية أو مضطربة (الكليني، 1985، ج. 6، ص. 50). فالتربية القرآنية تنظر إلى الأبناء كأمانة بيد الوالدين، وتحملهما مسؤولية كبرى في غرس القيم، وحمايتهم من الانحراف وعليه، فإن التربية الأسرية في القرآن تمثل عملية شاملة، تبدأ من العقيدة، مروراً بالقيم الأخلاقية والاجتماعية، وتنتهي بتثبيت السلوك العملي من خلال القدوة الحسنة. وهي بذلك تشكل الأساس الذي يُبنى عليه الإنسان المتوازن القادر على مواجهة تحديات الحياة بثبات ووعي.

4.1.3. ثالثاً: بر الوالدين ورعاية حقوقهما

يمثل برّ الوالدين أحد المرتكزات الكبرى التي يقوم عليها البناء القرآني للشخصية الإنسانية، فقد وضعه القرآن في موضع متقدم حتى قرنه بالتوحيد، فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (سورة الإسراء، الآية 23). إن هذا الاقتران ليس اعتباطياً، بل يدل على أن الإحسان إلى الوالدين هو الامتداد العملي للتوحيد؛ فمن يعبد الله حقاً لا يمكن أن يغفل عن أداء حقوق من جعلهما سبباً في وجوده ورعايته وقد جاءت آيات أخرى تؤكد هذا المعنى، منها قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (سورة لقمان، الآية 14). فالآية تجعل شكر الوالدين في مرتبة تالية مباشرة لشكر الله، وهذا يوضح عمق العلاقة بين العقيدة والأسرة في

تكوين الشخصية الإنسانية ويذكر الطبرسي في مجمع البيان أن كلمة "قضى" في قوله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ تعني الأمر الجازم والواجب الذي لا يُقبل التهاون فيه، ما يكشف أن برّ الوالدين ليس مجرد فضيلة أخلاقية، بل هو تكليف شرعي (الطبرسي، 1986، ج. (المجلسي، 1983، ج. 74، ص. 79)، ص. 274). ويضيف أن الإحسان لا يقتصر على حسن المعاملة، بل يشمل القول الكريم، وخفض الجناح، والرحمة، ورعايتهما في حال الكبر أما الطباطبائي في الميزان، فيرى أن برّ الوالدين يمثل مدرسة لتكوين الضمير الإنساني، إذ يتعلم الفرد من خلال علاقته بهما قيم الرحمة والوفاء والعرفان، وهذه القيم تتحول لاحقاً إلى قواعد سلوك اجتماعي تضمن تماسك المجتمع (الطباطبائي، 1997، ج. 13، ص. 83). ويشير إلى أن من يفشل في أداء حقوق والديه قد يفقد القدرة على أداء حقوق الآخرين في المجتمع.

وقد أفاض المجلسي في بحار الأنوار في شرح مفهوم البرّ، مبيناً أنه يتجاوز الطاعة الظاهرية إلى المشاركة الوجدانية، كالدعاء لهما، ورعايتهما عند الحاجة، وتحمل الأذى في سبيل راحتها (المجلسي، 1983، ج. 74، ص. 79). وهذا ينسجم مع الرؤية القرآنية التي قالت: ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (سورة الإسراء، الآية 24)، حيث صوّرت الآية البرّ بصورة انحناء وجداني يعكس أقصى درجات الرحمة والتواضع كما جمع الكليني في الكافي أبواباً عديدة عن برّ الوالدين، تؤكد أن رضا الله مرتبط برضاها، وأن العقوق من الكبائر التي لا تُغتفر إلا بتوبة نصوح (الكليني، 1985، ج. (سورة لقمان، الآية 14)، ص. 162). ومن أبرز ما ورد أن برّ الوالدين لا يسقط حتى لو كانا غير مؤمنين، ما دام البرّ لا يؤدي إلى معصية الله، وهو ما يدل على أن قيمة البرّ متجذرة في إنسانية الإنسان قبل أن تكون مرتبطة باعتقاده.

ومن خلال هذا العرض، يتضح أن برّ الوالدين في القرآن الكريم ليس قيمة أخلاقية عابرة، بل هو أساس تربوي يعيد تشكيل شخصية الإنسان على قيم الوفاء والرحمة، ويضمن أن ينشأ الفرد وهو مدرك لمعنى العرفان والالتزام. إن هذه التربية تُسهم في بناء شخصية متوازنة قادرة على أداء واجباتها الدينية والاجتماعية، وتحصين المجتمع من التفكك الأخلاقي والاجتماعي.

4.1.4. رابعاً: حماية الأسرة من الانحراف

لم يكتفِ القرآن الكريم ببيان الأسس الإيجابية لبناء الأسرة، بل نبّه إلى ضرورة حمايتها من عوامل الانحراف التي قد تؤدي إلى انهيارها، فالمسؤولية لا تنحصر في تربية الأبناء أو برّ الوالدين فقط، وإنما تشمل صيانة الأسرة من المؤثرات السلبية الفكرية والأخلاقية. وقد عبّر القرآن عن هذه المسؤولية المشتركة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (سورة التحريم، الآية 6).

فالآية تُبرز أن حماية النفس لا تنفصل عن حماية الأهل، أي أن المؤمن مكلف شرعاً بوقاية أسرته من الانحراف العقدي والسلوكي. ويرى الطبرسي في مجمع البيان أن هذه الوقاية تتحقق بالتربية والتعليم والتهديب، لا بمجرد المنع والقهر (الطبرسي، 1986، ج. 9، ص. 142). أي أن الأسرة مطالبة بترسيخ الوعي الديني في أبنائها ليكونوا قادرين على التمييز بين الحق والباطل.

ويضيف الطباطبائي في الميزان أن الوقاية تعني إيجاد الحصانة الفكرية والروحية التي تمنع الانحراف من الأساس، وذلك من خلال التربية القرآنية المستمرة، وإشباع حاجات الأبناء النفسية والفكرية بطرق مشروعة (الطباطبائي، 1997، ج. 19، ص. 356). وهذا يبين أن مسؤولية الأسرة ليست ردعية فقط، وإنما هي وقائية بالدرجة الأولى.

كما أوضح المجلسي في بحار الأنوار أن الانحراف الأسري لا يقتصر على الانحراف الأخلاقي، بل يشمل التقصير في أداء الحقوق، أو الانشغال بالدنيا على حساب التربية، وهو ما يترك فراغاً في نفوس الأبناء يجعلهم عرضة للتيارات المنحرفة (المجلسي، 1983، ج. 70، ص. 248). ومن هنا، فإن حماية الأسرة في الرؤية القرآنية هي حماية شاملة تشمل العقيدة، والسلوك، والعلاقات الداخلية.

ويؤكد الكليني في الكافي أن الإمام علي (عليه السلام) كان يحثّ على مراقبة الأبناء وتعليمهم القرآن منذ الصغر، لأن التربية المبكرة هي السبيل الحقيقي الذي يحفظهم من الانحراف (الكليني، 1985، ج. 6، ص. 47). ومن هذا المنطلق يتضح أن مسؤولية حماية الأسرة مسؤولية مستمرة لا تنتهي عند حد، بل هي واجب متواصل يتجدد مع كل مرحلة من مراحل حياة الأبناء.

وهكذا فإن حماية الأسرة من الانحراف في القرآن الكريم ليست مجرد توجيه وعظي، بل هي مشروع تربوي متكامل، يجعل من البيت مدرسة للفضيلة، ويضمن أن يخرج منه أفراد ذوو شخصيات متوازنة قادرة على مواجهة تحديات الحياة.

4.2. المبحث الثاني: التطبيق التربوي في المؤسسات التعليمية

يُعد التعليم المؤسسي من أبرز الوسائل التي اعتمدها القرآن الكريم لبناء الشخصية الإنسانية وصياغتها صياغة متكاملة، فهو الامتداد الطبيعي للتربية الأسرية، والإطار المنظم الذي يُعنى بنقل المعارف، وتنمية القدرات العقلية، وتثبيت القيم الأخلاقية والاجتماعية. ولم يكن القرآن بتشجيع التعليم الفردي، بل دعا إلى إقامة بيئات تعليمية ومؤسسات معرفية تؤسس لإنسان صالح، عارف بربه، وملتزم بدينه، ومسهّم في إصلاح مجتمعه.

4.2.1. أولاً: العلم أساس تكامل الشخصية الإنسانية



أكد القرآن الكريم على أن العلم هو الركيزة الأساسية التي يقوم عليها البناء الإنساني، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر، الآية 9). فالعلم هو الوسيلة التي يرتقي بها الإنسان عن الجهل، ويكتشف من خلالها غايات وجوده ووظيفته في الحياة ويشير الطباطبائي في الميزان إلى أن العلم في القرآن ليس معرفة نظرية فحسب، بل هو نور يوجّه السلوك ويجعل صاحبه أكثر وعياً بمسؤولياته الفردية والاجتماعية (الطباطبائي، 1997، ج. 17، ص. 246). أما المجلسي في بحار الأنوار فقد عدّ الجهل أصل الانحراف، وجعل العلم مفتاح كل فضيلة (المجلسي، 1983، ج. (سورة الزمر، الآية 9)، ص. 214). ومن هنا تتضح أهمية المؤسسات التعليمية في صياغة الشخصية المتوازنة عبر توفير المعرفة الصحيحة التي تُبنى عليها القيم والأخلاق.

4.2.2. ثانياً: المعلم قدوة تربوية قبل أن يكون ناقلاً للعلم

لم يقتصر دور التعليم في القرآن على نقل المعلومات، بل جعل للمعلم موقع القدوة، كما جاء في وصف النبي (ص): ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (سورة الأحزاب، الآية 21). فالمعلم هو النموذج الذي يتأثر به المتعلم، وسلوكه أبلغ من ألف كلمة. وينكر الكليني في الكافي أن من علامات العالم الحق أن يكون عمله مطابقاً لقوله، وأن يُجسّد علمه في سلوكه (الكليني، 1985، ج. (سورة الزمر، الآية 9)، ص. 44). ولهذا لا يمكن تصور تعليم قرآني بلا معلم صالح، لأن شخصية المتعلم تُبنى بالقدوة العملية أكثر من تلقي المعلومات. ومن هنا تصبح مهمة المؤسسات التعليمية مزدوجة: إعداد معلمين أكفاء علمياً، وأمناء أخلاقياً، ليكونوا نماذج يُحتذى بها في السلوك.

4.2.3. ثالثاً: المناهج التعليمية وعرس القيم القرآنية

من أبرز مظاهر التعليم المؤسسي وضع المناهج التعليمية، وهي الوسيلة التي تنتقل عبرها القيم والمعارف إلى المتعلمين. وقد نبّه القرآن إلى أهمية التربية القائمة على الحكمة والموعظة الحسنة، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (سورة النحل، الآية 125). فالمناهج ينبغي أن تكون مزيجاً من المعرفة النظرية، والتربية الأخلاقية، والتوجيه العملي. ويشير الطبرسي في مجمع البيان إلى أن الحكمة هنا تعني العلم المؤسس على الدليل، بينما الموعظة الحسنة تشير إلى التربية الوجدانية التي تؤثر في القلوب (الطبرسي، 1986، ج. (سورة النحل، الآية 125)، ص. 350). وهذا يوضح أن المناهج القرآنية توازن بين العقل والعاطفة، وبين النظرية والتطبيق.



4.2.4. رابعاً: التربية على الحوار والتفكير النقدي

يرى القرآن أن التعليم ليس تلقيناً سلبياً، بل هو تربية على النقد والحوار. قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (سورة الزمر، الآية 17-18). وهذه الآية تضع مبدأً أساسياً في التعليم، وهو تدريب المتعلم على التمييز بين الآراء واختيار الأصلح. وقد أوضح الطباطبائي أن "اتباع أحسن القول" يعني تنمية ملكة النقد الواعي التي تحصن الإنسان من الانقياد الأعمى (الطباطبائي، 1997، ج. 17، ص. 311). وهذا المبدأ ينبغي أن يكون جزءاً من المؤسسات التعليمية، عبر تشجيع الحوار، واحترام الرأي الآخر، وتعليم مهارات التفكير النقدي.

4.2.5. خامساً: التكامل بين التعليم الديني والعلمي

من خصائص الرؤية القرآنية أن العلم لا ينفصل عن الإيمان، بل يتكامل معه. قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (سورة المجادلة، الآية 11). فالقرآن يربط بين الإيمان والعلم في مشروع واحد لبناء الإنسانويين المجلسي أن العلم إذا لم يُدعم بالإيمان يصبح سبباً للغرور، بينما الإيمان بلا علم يتحول إلى جهل وتقليد (المجلسي، 1983، ج. 2، ص. 32). لذا فإن المؤسسات التعليمية في ضوء القرآن مطالبة بالجمع بين التعليم الديني والعلمي، بحيث يُربى المتعلم على التوازن بين العقل والروح، وبين الدنيا والآخرة.

4.2.6. سادساً: التعليم أداة لحماية الهوية الإسلامية

في ظل التحديات الفكرية والثقافية التي تواجه الأمة الإسلامية، يصبح التعليم خط الدفاع الأول عن الهوية. فالقرآن يؤكد على ضرورة العزة الإيمانية: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة المنافقون، الآية 8). ومن خلال التعليم يمكن غرس هذه العزة في نفوس الناشئة، وتحصينهم من الدوبان في الثقافات الوافدة. ويشير الكليني في الكافي إلى أن من عرف قدر نفسه لم يهن أمام غيره (الكليني، 1985، ج. 2، ص. 145)، وهذا المبدأ لا يتحقق إلا إذا رُبِّي الجيل الجديد على الاعتزاز بالهوية الإسلامية. وهكذا تتحول المؤسسات التعليمية إلى حصون تحمي الشخصية من الانسلاخ عن قيمها وأصالتها.

4.3. المبحث الثالث: التطبيق المجتمعي والتكافل الاجتماعي

لم يقتصر القرآن الكريم على توجيه الفرد والأسرة، بل وسَّع دائرة اهتمامه إلى المجتمع بأسره، إدراكاً منه أن الفرد لا يعيش منعزلاً، وإنما يتشكل وعيه وسلوكه ضمن شبكة من العلاقات الاجتماعية المتداخلة. ومن هنا فقد قدَّم القرآن منظومة من المبادئ والقيم التي تضمن للمجتمع تماسكه، وتوفّر له القدرة على أداء رسالته في عمارة الأرض.

4.3.1. أولاً: العدالة الاجتماعية أساس العمران

العدالة في التصور القرآني ليست قيمة ثانوية، بل هي قاعدة كبرى لحياة إنسانية متوازنة. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (سورة النحل، الآية 90)، وقال أيضاً: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْبُدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (سورة الأنعام، الآية 152). فالعدل هو الميزان الذي تُقاس به المجتمعات، وغيابه يؤدي إلى الظلم الذي يمزق النسيج الاجتماعي ويشير الطبائبي في الميزان إلى أن العدالة القرآنية تشمل جميع مجالات الحياة: الحكم، الاقتصاد، المعاملات، وحتى العلاقات الشخصية (الطبائبي، 1997، ج. 12، ص. 352). أما الطبرسي في مجمع البيان فيرى أن العدالة هي المبدأ الذي يجعل الإنسان متصالحاً مع فطرته، إذ إن الفطرة السليمة تميل إلى الحق وتشمئز من الظلم (الطبرسي، 1986، ج. 103، ص. 190). وهذا كله يجعل العدالة محوراً أساسياً في بناء شخصية الفرد، إذ تربيته على المساواة والإنصاف في التعامل مع الآخرين.

4.3.2. ثانياً: التكافل الاجتماعي ضمانة الاستقرار

من القيم التي رسّخها القرآن الكريم قيمة التكافل، حيث ربط بين العبادة والإنفاق، فقال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (سورة المعارج، الآية 24-25)، وقال أيضاً: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (سورة التوبة، الآية 103). فالإنفاق في سبيل الله لا يُعالج الفقر فقط، بل يطهر النفس من الشح، ويجعل المال وسيلة لبناء المجتمع ويذكر المجلسي في بحار الأنوار أن الصدقة والإحسان تتمي الروح الاجتماعية، وتزرع في النفوس الرحمة، وتجعل المتصدق شريكاً في آلام الآخرين وأمالهم (المجلسي، 1983، ج. 93، ص. 131). أما الكليني في الكافي فقد روى أحاديث عديدة تؤكد أن من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ما يبين أن التكافل ليس خياراً تطوعياً بل هو جزء من هوية المسلم (الكليني، 1985، ج. 164، ص. 152). وهكذا يتحول التكافل إلى أساس لبناء مجتمع متضامن، يشارك أفراداه في المسؤولية.

4.3.3. ثالثاً: التعاون على البر والتقوى

دعا القرآن إلى التعاون الإيجابي الذي يبني المجتمع، وحذّر من التعاون السلبي الذي يهدمه، فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (سورة المائدة، الآية 2). فالتعاون ليس قيمة حيادية، بل له وجهان: وجه إيجابي يقوم على البر، ووجه سلبي يقوم على الإثم. ويشرح الطبرسي أن البرّ يشمل كل عمل صالح نافع للفرد والمجتمع، والتقوى هي الضابط الداخلي الذي يوجّه هذا التعاون (الطبرسي، 1986، ج. 3، ص. 77). بينما يشير الطبائبي إلى أن التعاون

على الإثم قد يكون في صورة دعم الظالمين أو التستر على الفساد، وهو ما يدمر المجتمع من الداخل (الطباطبائي، 1997، ج. 5، ص. 258). وبذلك يصبح التعاون وسيلة لبناء الشخصية الاجتماعية الإيجابية التي تسهم في الإصلاح، لا في الانحراف.

4.3.4. رابعاً: الإصلاح المجتمعي والأمر بالمعروف

من المبادئ الكبرى التي أكدها القرآن مبدأ الإصلاح الاجتماعي، الذي تجسده فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (سورة آل عمران، الآية 104). فالآية توضح أن وجود جماعة إصلاحية داخل المجتمع ليس ترفاً، بل ضرورة لبقائه واستقامته بناء شخصيته ويذكر المجلسي أن هذه الفريضة تمثل نظاماً رقابياً داخلياً يحفظ المجتمع من الانهيار، إذ تجعل كل فرد مسؤولاً عن سلوك الآخرين بقدر استطاعته (المجلسي، 1983، ج. 97، ص. 87). كما يؤكد في كتاب الكافي أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو "سنام الدين"، أي أعلى مرتبة في إصلاح المجتمع (الكليني، 1985، ج. 5، ص. 55). ومن هنا، يتضح أن الإصلاح المجتمعي ليس مجرد واجب أخلاقي، بل هو ركيزة أساسية لبناء الأمة المتماسكة وبناء الشخصية الإنسانية

4.4. خلاصة الفصل الرابع

تناول هذا الفصل التطبيقات العملية لبناء الشخصية الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، من خلال ثلاثة مجالات مترابطة: الأسرة، والتعليم، والمجتمع وقد تبين أن القرآن الكريم لا يكفي بالتوجيه النظري فحسب، بل يضع أسساً عملية قابلة للتطبيق في الواقع الإنساني.

ففي المبحث الأول (التطبيق الأسري) برزت الأسرة بوصفها اللبنة الأولى في تشكيل شخصية الفرد، حيث ركز القرآن على المودة والرحمة كأساس للعلاقة الزوجية، وعلى التربية الأسرية التي تغرس القيم منذ الطفولة، وعلى برّ الوالدين بوصفه امتداداً للتوحيد، وأخيراً على حماية الأسرة من الانحراف. ومن خلال هذه المبادئ، تُصبح الأسرة بيئة آمنة تهئ الفرد ليكون إنساناً متوازناً يحمل قيم الوفاء والعرفان والرحمة.

أما المبحث الثاني (التطبيق التربوي في المؤسسات التعليمية) فقد كشف عن الدور المحوري للتعليم في بناء الشخصية الإنسانية، حيث أكد القرآن أن العلم أساس التكامل الإنساني، وأن المعلم قدوة تربوية لا مجرد ناقل للعلم، وأن المناهج التعليمية يجب أن توازن بين الحكمة والموعظة الحسنة، كما دعا إلى ترسيخ الحوار والتفكير النقدي، وإلى التكامل بين التعليم الديني والعلمي، لنسهم في حماية الهوية الإسلامية أمام تحديات العصر. وبذلك يظهر التعليم كمشروع تربوي متكامل يُنمي العقل والروح معاً.

وفي المبحث الثالث (التطبيق المجتمعي والتكافل الاجتماعي) تبين أن الشخصية الإنسانية لا تكتمل إلا ضمن شبكة من العلاقات الاجتماعية السليمة، حيث جعل القرآن العدالة الاجتماعية أساس العمران، والتكافل الاجتماعي وسيلة للاستقرار، والتعاون على البر والتقوى مبدأً عاماً لتنظيم العلاقات، إضافة إلى الإصلاح المجتمعي عبر فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذه القيم تجعل من الفرد عنصراً فاعلاً في خدمة مجتمعه، وتضمن للمجتمع الاستقرار والتماسك.

وعليه، فإن الفصل الرابع قدّم رؤية عملية متكاملة تبرز كيف يترجم القرآن الكريم مبادئه إلى واقع ملموس، يبدأ بالأسرة، ثم ينتقل إلى التعليم، وينتهي بالمجتمع. وبهذا يتضح أن بناء الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم مشروع شامل، يربط بين الفرد والجماعة، ويوازن بين البعد الروحي والعقلي والاجتماعي.

5. الخاتمة والنتائج والتوصيات

5.1. الخاتمة

بعد استعراض موضوع البحث: القرآن الكريم وبناء الشخصية الإنسانية من خلال فصوله الأربعة، يمكن القول إن القرآن الكريم قدّم مشروعاً متكاملًا لبناء الإنسان من الداخل والخارج، في فكره وروحه وأخلاقه وسلوكه الاجتماعي. وقد ظهر ذلك من خلال المحاور الأساسية التي تناولناها.

5.2. النتائج

1- القرآن كتاب هداية شامل: فهو لا يقتصر على جانب العقيدة أو التشريع، بل يتناول الإنسان في أبعاده كافة (العقلية، الروحية، الأخلاقية، والاجتماعية)، مما يجعله مشروعاً متكاملًا لتكوين الشخصية الإنسانية.

2- الأسرة أساس البناء: تبين أن الأسرة في القرآن الكريم تمثل المحضن الأول لغرس القيم، بدءاً من المودة والرحمة في العلاقة الزوجية، مروراً بالتربية الصالحة، وصولاً إلى برّ الوالدين وحماية الأسرة من الانحراف.

3- التعليم وسيلة للتكامل: أكد البحث أن المؤسسات التعليمية تُعدّ ساحة رئيسية لتربية الشخصية، حيث يجتمع فيها العلم والإيمان، الفكر والأخلاق، والمعلم القدوة والمناهج الهادفة، ما يجعل التعليم القرآني مشروعاً لإعداد الإنسان المتوازن.



4- المجتمع حاضنة القيم: اتضح أن القرآن ينظر إلى المجتمع باعتباره مجالاً لتطبيق القيم الكبرى مثل العدالة، التكافل، التعاون، والإصلاح. فالشخصية القرآنية لا تتعزل، بل تمارس دورها الإصلاحي داخل المجتمع.

5- التكامل بين الفرد والجماعة: أبرز البحث أن القرآن يربط بين تنمية الفرد وإصلاح الجماعة، فلا صلاح للفرد دون مجتمع صالح، ولا قيام للمجتمع دون أفراد يحملون قيم القرآن.

5.3. التوصيات

- 1- الاهتمام بالتربية القرآنية في الأسرة عبر غرس قيم الرحمة والعرفان والتربية المبكرة للأبناء.
- 2- تعزيز دور المؤسسات التعليمية في الجمع بين العلوم الدينية والدنيوية، وربط المناهج بالقيم القرآنية.
- 3- تأهيل المعلمين تربوياً وأخلاقياً ليكونوا قدوات عملية للمتعلمين، لا مجرد ناقلين للمعرفة.
- 4- ترسيخ قيم العدالة والتكافل في المجتمع عبر برامج عملية مستمدة من المبادئ القرآنية.
- 5- إحياء فريضة الإصلاح المجتمعي من خلال نشر ثقافة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يتناسب مع روح العصر.
- 6- تشجيع الدراسات القرآنية التطبيقية التي تربط النص القرآني بواقع الحياة اليومية والتحديات المعاصرة.

5.4. الخلاصة النهائية

يتضح من هذا البحث أن القرآن الكريم ليس نصاً تاريخياً جامداً، بل هو كتاب حيّ يقدم نموذجاً متكاملًا لبناء الشخصية الإنسانية في جميع جوانبها، ومن خلال الجمع بين الأسرة والتعليم والمجتمع، تتجسد الرؤية القرآنية في مشروع حضاري يربط بين العقيدة والسلوك، وبين الإيمان والعمل، ليصنع إنساناً قادراً على عمارة الأرض بما يرضي الله تعالى.

المصادر

القرآن الكريم

- [1] الطباطبائي، محمد حسين. (1997). الميزان في تفسير القرآن. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- [2] الطبرسي، الفضل بن الحسن. (1986). مجمع البيان في تفسير القرآن. دار المعرفة.
- [3] الطبري، محمد بن جرير. (1992). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. دار الكتب العلمية.
- [4] الطوسي، محمد بن الحسن. (1964). التبيان في تفسير القرآن. مطبعة الآداب.
- [5] الصدوق، محمد بن علي. (1981). من لا يحضره الفقيه. جماعة المدرسين.





- [6] الشريف الرضي. (1967). نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح).
- [7] الشهيد الثاني، زين الدين بن علي. (1990). منية المريد في آداب المفيد والمستفيد. مؤسسة النشر الإسلامي.
- [8] شرف الدين، عبد الحسين. (2001). المجتمع الإنساني في القرآن الكريم. دار المرتضى.
- [9] الكليني، محمد بن يعقوب. (1985). الكافي. دار الكتب الإسلامية.
- [10] المجلسي، محمد باقر. (1983). بحار الأنوار. مؤسسة الوفاء.
- [11] مطهري، مرتضى. (1984). التعليم والتربية في الإسلام. دار التعارف.

